

بنيامين نتنياهو وأكاذيبه وابتزازاته من جديد

ناهض منير الريس

النائب عن مدينة غزة

قال بنيامين نتنياهو وزير خارجية إسرائيل الحالي قبل حوالي سبع سنوات :

[[إذا كانت كل أقلية تشكل خطرا فعليا على سلامة ووجود الدولة التي تعيش فيها ، فلا بد أن تبحث الأغلبية في هذه الدول عن طرق لقمع وضغط هذه الأقليات ، أو ربما لتصفيتها في النهاية مثلما يحدث في البوسنة والهرسك ، حيث يمارس الصرب هناك حملة منهجية للتطهير العرقي ضد أقلية مسلمة تشكل أغلبية محلية . وإذا كان يحق لكل أقلية الانفصال عن الدولة التي تعيش فيها ، فليس من الغريب أن يتوصل البعض إلى استنتاج أنه من الأفضل لهم طرد هذه الأقلية من داخل الحدود والتخلص من هذه المشكلة نهائيا)) .

[[اليهود أثبتوا قدرتهم على الحرب منذ أن احتل الرومان القدس ، أما العربي فهو مقاتل حقيق رغم أنه قومي جدا في مجالات السلب والتخريب والقتل ..)) .

[[في عام ١٩٧٥ كان الابتزاز النفطي في ذروته . وفي تشرين الثاني ، بعد ثماني سنوات فقط على هزيمتهم الكبرى في حرب الأيام الستة تمكن العرب من تحقيق أكبر نصر دعائي لهم : قررت الجمعية العامة للأمم المتحدة .. أن الصهيونية .. هي حركة عنصرية ، وهكذا نجحوا في تحقيق ما لم ينجح به أعتى اللاساميين في العالم)) .

[[العالم العربي لا زال حتى اليوم يحتفظ بالعبيد السود في دول الخليج وكان لعدة أجيال الرائد في مجال تجارة العبيد على طول سواحل إفريقيا ويتحمل وزر أعمال القتل الفظيعة لمئات الآلاف من السود في جنوب السودان على أيدي الأغلبية العربية)) .

[[هناك أنظمة حكم عربية يمكن وصفها " مفترسة " وأنظمة عربية أخرى " فريسة " . هناك أنظمة عربية تميل إلى الاعتدال وترغب في الابتعاد عن دكتاتوريات الأنظمة الراديكالية ن لكن هذه الحقيقة لا تغير الصورة العامة البشعة .. العنف ظاهرة دائمة في الحياة السياسية في كل الدول العربية ، وهو الأسلوب الرئيسي لتصفية الخصوم الداخليين عربا وغير عرب معا)) .

[[إن جهاز سفك الدماء الشرق أوسط سيظل بعد انتهاء الحرب الباردة يعمل مثل آلة تدور بقوتها الذاتية وتهدد السلام والاستقرار في أماكن كثيرة من العالم)) .

[[معظم أنظمة الحكم العربية هي دكتاتوريات متعشدة للدماء ، ولا أهمية للتصريحات الموجهة للغرب من جانب الحكومات المعتدلة لأن هذه الحكومات تخضع في نهاية المطاف لمواقف المتطرفين)) .

هذه الأقوال بنصها موجودة في كتاب (مكان تحت الشمس - إسرائيل والعالم) بقلم بنيامين نتنياهو . وهي نقطة من بحر واسع . ومع ذلك فقد احتوت هذه النقطة مجموعة غير قليلة من الصفات السافلة التي ألصقها بالفلسطينيين والعرب والمسلمين وهي في الحقيقة صفات المتكلم نفسه .

الأكثرية تصفي الأقلية !

وتبعاً لأول هذه الأقوال وأخطرها فإن الفلسطينيين إذ يطالبون لأنفسهم بدولة هم مفترقون يدعون ما ليس لهم . وهم مجرد قلة انفصالية كان عليها أن تحيا ضمن نطاق الأكثرية (اليهودية) إلا أنها لم تفعل . وهكذا صارت تشكل خطرا فعليا على سلامة ووجود إسرائيل (الدولة التي تعيش فيها) على حد تعبيره . ومن هنا فإن على الأغلبية (وهي هنا اليهود طبعا) أن تبحث عن طرق للضغط على الأقلية وقمعها (أي علينا نحن الفلسطينيون) . بل وإن الضغط والقمع قليلان علينا ، فالأحرى بالأكثرية أن تصفي الأقلية . وكيف ؟ عن

طريق حملة منهجية من التطهير العرقي على غرار ما فعله الصرب بالمسلمين في البوسنة والهرسك . أو - طرد هؤلاء العرب من بلادهم لترتاح إسرائيل نهائيا .

نحن بدورنا لا نملك أن نوقف سيلا من الأسئلة التي تتدافع في وجه الزيف والتزوير والكذب الوقح : من ذا الذي قال إننا نحن الفلسطينيين أقلية تعيش داخل بلاد اليهود ؟ فمنذ نكبة فلسطين صرنا أربعة أجزاء يقيم الجزء الأكبر منها في الضفة الغربية ضمن المملكة الأردنية الهاشمية ، والجزء الثاني في قطاع غزة برعاية الإدارة المصرية ، والجزء الثالث في المهاجر المختلفة في البلدان العربية المجاورة ، أما الجزء الرابع الذي بقي في أرضه وأصبح تحت حكم الاحتلال الإسرائيلي الذي لم يكن هناك حتى حرب ١٩٤٨ ، فهو لم يرفع قط شعار دولة مستقلة في الجليل أو المثلث أو النقب . فإذا كان ننتياهو يعني بالأقلية داخل الدولة اليهودية الشعب العربي الفلسطيني في الضفة والقطاع فمعنى ذلك أنه في خياله السقيم ضم القطاع والضفة لإسرائيل منذ حرب ١٩٦٧ ، وهو ما لا تقول به الشرعية الدولية التي أنشأت إسرائيل وإن كانت تقوله الإذاعة الإسرائيلية في نشراتها حين تتكلم عن مدينة رفح مثلا فتقول : رفح على الحدود المصرية - الإسرائيلية . وقد عاشت أقلية يهودية لا يتجاوز عددها خمسة آلاف نسمة في طبريا والقدس بين ظهراي الأكثرية الفلسطينية وظلت هذه البضعة من آلاف اليهود المتدينين تعيش كذلك منذ وقت ما في أواخر القرن التاسع عشر حتى أوائل القرن العشرين دون أن يقوم الفلسطينيون بطردها ولا بتطهير البلاد منها عرقيا بل أحسنوا إلى فقرائها وعاملوها معاملة تحترم كونها أهل كتاب ، أم أن ننتياهو نسي أن اليهود لم يصبحوا عشرات ألوف ولا مئات ألوف في فلسطين إلا بعدما سهل البريطانيون هجرتهم إلى بلاد الفلسطينيين تحت حكم الانتداب البريطاني الذي خضع له أهل البلاد وهم الأكثرية وتآمرت معه الحركة الصهيونية التي كانت في ذلك الحين أقلية؟! ومع ذلك فمسألة الأكثرية والأقلية تتوقف على نظرة كل منا إلى الجغرافيا . فالإسرائيليون أقلية مثلا إذا وضعناهم في إطار عربي أو إسلامي بحجم منطقة الشرق الأوسط (وهم حريصون لأسباب اقتصادية أن يعدوا أنفسهم شرق أوسطيين) . وبإمكان الأمريكيين في هذا الدور من الزمان أن يوفروا لهم اعترافا بأنهم أكثرية في رقعة معينة من الأرض الشرق أوسطية ، ولكن طبائع التطور الطبيعي المحتوم للأمر ستطلق عليهم ذات حين التسمية الحقيقية التي تنطبق على الواقع وهي أنهم أقلية وسط محيط عربي إسلامي واسع .

محاكمة ننتياهو أسوة بميلوسوفيتش

ثم : من هو الذي يقرر إن دولة فلسطينية فوق أرض فلسطينية ستكون (خطرا فعليا) على أمن إسرائيل ؟ ألم يطلب الفلسطينيون وما زالوا يطلبون ، لكي تطمئن إسرائيل وتنام قريرة العين ، مع أن الفلسطينيين هم الأحوج للأمن والأمان ، أن تأتي قوات دولية تفصل بين الفلسطينيين والإسرائيليين ؟ ألم يبلغ التحكم الإسرائيلي بالولايات المتحدة أنها استخدمت الفيتو في مجلس الأمن لتحول دون قرار إيفاد قوات دولية ، بناء على رغبة إسرائيل واللوبي الصهيوني الحاكم في أمريكا ؟ أم لعله يروق للولايات المتحدة ولما يدعونه مصلحتها في المنطقة الإبقاء على الصراع إلى ما لانهاية ؟ أم أن هدف إسرائيل هو استخدام الوقت في تنفيذ برنامج إسرائيل الكبرى وفي شن حرب إبادة على العناصر الفلسطينية الشابة ؟

ثم نأتي إلى بيت القصيد الذي أراده ننتياهو ، وهو رغبته القديمة في الوصول إلى القرار بشن الحملة المنهجية للتطهير العرقي ضد الفلسطينيين ، أي الحملة التي نحيا اليوم زمنها ووقائعها الدامية كل صباح .

فمنذ الاثني الماضي حتى الاثني الذي أحيانا الله إليه اليوم ، سقط بالرصاص الإسرائيلي أربعة عشر شهيدا ، بمعدل شهيد في اليوم الواحد . وقد مات إسرائيليون أيضا ، ولم نحصهم ، وهذا يعني - إذا كان ثمة قدرة حقيقية على أخذ العبر لدى الإسرائيليين - أن التطهير العرقي لا يجري على طرف واحد بل لا بد للاجزاء أن يجرح بالسيف الذي يجرح به ضحاياه . وقد عرف شارون الذي هو متعهد كبير لعمليات التطهير العرقي منذ قام بنسف البيوت على رؤوس الفلسطينيين النائمين في قبية ، أن جنائته الفاحشة لم تحل دون الفلسطينيين والتكاثر أضعافا مضاعفة ، ولا هي حالت دون أن يتمكن الفلسطينيون بإمكانياتهم المحدودة من قتل إسرائيليين في أزمنة لاحقة . وما زال الحبل على الجرار .

أما السؤال الأهم والأكثر إلحاحا بعد هذا العرض فهو : سر المفارقة بين أن يكون الرئيس الصربي السابق سلوبودان ميلوسوفيتش ورئيسة وزرائه واقفين أمام محكمة دولية يستحقانها وهي تحاكمهما على

جرائم التطهير العرقي بحق أهالي البوسنة والهرسك ، في حين يتفصح ننتياهو الذي يتغزل بالتطهير العرقي طولا وعرضا في أنحاء أوروبا شاعرا بحظوة الأهل واعتزاز السلاطين ، حتى إنه لم يفكر في مجرد مراعاة اللياقة والتحلي بتهديب شخصي حين راح يوبخ توني بلير في عقر داره لاستضافته الرئيس بشار الأسد في لندن قبل أيام ، علما بأن بلير قد يكون فعل ذلك لصالح إسرائيل قبل أي صالح آخر . وبلير كما يعلم الجميع هو رئيس جمعية الصداقة البريطانية - الإسرائيلية قبل أن يصبح رئيس وزراء بريطانيا !!

من هم تجار العبيد ؟

والنماذج التي عرضناها من كتاب ننتياهو تهاجم العرب في خصائصهم العسكرية ، فتلفق لهم صفة الحقارة ، وتهاجمهم في أمانتهم فتتسبب إليهم السلب ، وتهاجمهم في رشدهم فتتسبب إليهم التخريب ، وتهاجمهم في إنسانيتهم فتتهمهم بالقتل ، ولا تنتهي قائمة الاتهامات ضد الفلسطينيين إذ يعزو الكاتب في كتابه إليهم نقائص الابتزاز واللاسامية والاتجار بالعبيد والاضطهاد العنصري (ما ذكرني بخطاب قديم للمرحوم أحمد الشقيري تحدث فيه عن تاريخ العبودية كما ورد في الموسوعة البريطانية فقال إنها تقول إن اليهود كانوا أكبر تجار العبيد المخطوفين من مواطنهم في السواحل الإفريقية وباعوهم في أنحاء العالم) . ولا يتوقف هجوم ننتياهو على العرب بوصفهم أفرادا أو قومية ، بل يهاجم أنظمتهم السياسية ويقسمها إلى مفترسين وفرائس ويلصق بهم تهمة الديكتاتورية فيهاجم الحكام والمحكومين والملوك والرؤساء والمنظمات والزعماء . وهكذا ترى وأنت تقلب صفحات ذلك الكتاب اللعين أنه لم يترك في القواميس لفظة سافلة إلا وصف بها الجميع .

وسبق أن نبهنا إلى خطورته منذ سبع سنوات وقلنا إنه يمثل أحدث صياغة للمزاعم والأكاذيب التي قدم ننتياهو بها أطروحة الصهيونية الحديثة بعد مرور نصف قرن على سلب فلسطين .. أطروحة التاريخ الزائف لفلسطين .. وتمجيد الذات اليهودية بل وإحاطتها بهالات القداسة مع تشويه صورة العرب أفرادا وجماعات ، وأنظمة وشعوبا ، وقدامى ومحدثين .. ومع الإقذاع بحق اليسار الإسرائيلي أيضا !

مقدمات للقتل

وقد اختلطت الأمور وتراجعت الحقائق إلى الوراء ، وضاع صوتها في عصر الإعلام الإلكتروني وثورة المعلومات .. عصر الإهمال العربي والتخلف الأبهظ ثمنا الذي استغلته عين الصهيونية الساهرة في الغرب لتشويه صورة أعدائها ، تمهيدا لإباحة دمهم وفق مفهوم ننتياهو نفسه في مكان آخر من كتابه : " في العهد الذي حدثت فيه الكارثة - يقصد المذبحة التي يقولون إن هتلر فعلها بهم - ، يجدر بنا أن لا ننسى ما ألصقه النازيون بالشعب اليهودي ، عندما وصفوه بأنه شعب ممقوت دنئ وحقير . ولولا غسيل الدماغ الذي قام به النازيون للشعب الألماني والشعوب الأخرى ، لما نجحوا في تجنيد مئات الآلاف من المتعاونين معهم لإدارة آلة الإبادة ضد اليهود ... بعبارة أخرى نقول إن الافتراء أو التشهير مقدمة للقتل " .

ولا ينتبه ننتياهو إلى أن هذا بالضبط هو ما يفعله هو ذاته بالفلسطينيين ولا ينتبه إلى أن كثيرا مما يقوله لا ينطبق على أحد قدر ما ينطبق على إسرائيل وأفعالها . وننتياهو واحد من اثنين : إما حقوق إلى الدرجة التي تجعله ينظر بعين واحدة ويصدق ما يقوله عن أعدائه ، أو كذاب من أكذب من خلق الله ، مدمن على صناعة الأكاذيب دون توقف وهو يدرك بأعصاب المحترف البارد أن ذلك من لزوميات الصنعة والحرفة .

وليس عيبا أن تكون للرجل في وجهه عين أكبر من عين ، ولكن ما هو حاصل لدى وزير خارجية إسرائيل بنيامين ننتياهو ، إضافة لذلك ، أنه يتعمد مد صحائف دعاياته التي هي خليط من الرؤية العوراء والأكاذيب المسمومة ، إلى عيون أولئك الذين يستهدفهم بتلك الدعايات ويتسبب في إصابة بصائرهم بالعور . وهو في الأصل متخصص في الدعاية التجارية منذ كان مسؤول علاقات عامة في شركة إسرائيلية . ولكنه أبدى منذ دخل حقل السياسة مهارة في توليد أخبث الدعايات السياسية وأكذبها ضد الفلسطينيين خاصة والعرب والمسلمين عامة ، حتى إن عدوه الحميم أو صديقه اللدود آرينيل شارون لم ير ضيرا في ضمه إلى حملة الدباية والهليوكوبتر التي تواصل بقيادة شارون منذ أكثر من سنتين تدمير البشر الفلسطينيين والبيوت الفلسطينية والشجر الفلسطيني والآبار الفلسطينية ومرافق الخدمات الفلسطينية ، وبطبيعة الحال عرف ننتياهو أن دوره هو مواصلة تدمير السمعة الفلسطينية والعربية والإسلامية جريا على فهمه أن (الافتراء والتشهير مقدمة للقتل) .

لا يحملون الجميل !

ولذلك لا نعجب حين نطالع تصريحات نتتهاو الأخيرة في جولته الأوروبية التي شملت حتى الآن إيطاليا وفرنسا وإنجلترا وروسيا . ولا نفاجأ خاصة بتصريحه في روما حين قال :

* ((إن جذور الإرهاب هي كراهية الغرب وليس النزاع الإسرائيلي الفلسطيني .. وإن الإسلام المقاتل لا يكره الغرب بسبب إسرائيل ، ولكن يكره إسرائيل بسبب الغرب لأنها جزيرة صغيرة من القيم الغربية الديمقراطية وسط بحر من التسلط والقمع)) .

هذا هو نتتهاو وهذه هي مهمته الحربية ! وعلينا أن نلاحظ أنه إنما يخاطب في جولته الأوروبية جمهور الولايات المتحدة بأكثر مما يخاطب الأوروبيين . فتركيزه على أمريكا ملحوظ منذ أصدر كتابه المذكور . وقد يكون مصطلح (الإرهاب) ووصف الفلسطينيين والعرب والمسلمين به مصطلحا قديما ، ولكن يبدو أن نتتهاو نجح في جعل الأكاذيب والترهات الدعائية التي تضمنها كتابه مرجعا يمكن على ضوئه متابعة ما يتفوه به الرئيس بوش وأعوانه ، تماما كما يتابع المرء استظهار التلميذ نصا مكتوبا في كتاب الصف .

ونتتهاو قد لا يكون (المعلم) المباشر لهؤلاء التلاميذ الكبار ، ولكنه حتما من البروفيسورات المعتمدين لدى اللوبي الصهيوني في الولايات المتحدة ، وهو في الأصل يهودي أمريكي ، أي أنه من القلة التي تفهم العقل الأمريكي فهما جيدا ، وقد عاش في إسرائيل ، فصار يفهم قيمة تجنيد الولايات المتحدة ، بقدراتها الهائلة ، لتحارب معارك إسرائيل .

ومن أغرب سمات الدعاية الصهيونية وغسيل الدماغ الذي تمارسه الصهيونية في الغرب أنها وهي تستعطي الغرب مالا وسلاحا وتأييدا سياسيا تريد في الوقت نفسه أن يشعر أولياء نعمتها أنهم هم المدينون لها ، وليس أنها هي المدينة لهم ! ومن أمثلة ذلك هذا التلفيق الرهيب الذي يتلاعب به نتتهاو : القول إن المسلمين لا يكرهون الغرب بسبب إسرائيل بل الصحيح أنهم يكرهون إسرائيل بسبب الغرب . وبالطبع إن مثل هذه المجادلات ليست مجرد مباحكة كلامية وإنما يترتب عليها في نهاية المطاف ابتزاز الأغنياء واختراع أنواع من المطالبات وأصناف من (التعويضات) .

وقد تكون هناك اختلاطات في الوقائع والحقائق سرعان ما تستغلها الدعاية الإسرائيلية ومنظروها أمثال نتتهاو بالطريقة التي تضر وتؤدي أمتنا وشعبنا . فليس صحيحا على الإطلاق أن المسلمين يكرهون إسرائيل بسبب الغرب أو لكونها جزيرة الديمقراطية الغربية في المنطقة . والحقيقة الساطعة التي يتوهم نتتهاو أنه يمكن أن يغسل عقل الغرب منها بواسطة ترديد أكاذيبه المضادة لها آلاف المرات هي أن المسلمين يكرهون سياسة الغرب هذه الكراهية الشديدة فعلا لأن الغرب هو الذي أنشأ إسرائيل وزرعها وحماها وناصرها وأتاح لها تعذيب أهل البلاد وأعطاهم من القوة والنفوذ حجما يفوق حجم دولة عظمى . ولولا الغرب لما كان لإسرائيل أن تقوم ولا أن تبقى . ومع ذلك أؤكد أنني شخصا ، بوصفي مثالا على ناس المنطقة لا أشعر بالنفور من إنسان قادم من الغرب ، بل بالعكس ، أحب أن أنفتح عليه كي أقول له الحقيقة التي حجت قصدا عنه ، وكذلك يفعل معظم من أعرف من الأشخاص . أما الاختلاطات التي نشير إليها ففحواها أننا نكره سياسة الغرب ونكره عدوانه علينا قديما وحديثا وأن القرن الماضي شهد وقوع كل دولة عربية تحت استعمار دولة غربية . أما القرن الحالي فيشهد ذلك الهوس المحموم ضد العرب والمسلمين من أجل الاستمرار في الاستيلاء على نطف المنطقة بأبخس الأثمان . ويكون من أغرب الأمور لو أننا أحببنا المستعمر وفرشنا له الأرض بالياسمين ! ولكننا صدقا وحقا لم نكره الغرب بشرا أو علوما أو تنظيميا . أما الديمقراطية التي يقول نتتهاو إن إسرائيل جزيرتها الوارفة وسط ديكتاتورية العرب فنحسب أن تطبيقها في إسرائيل على هذا النحو من الأنظمة الذي أوصل أمثال آرينل شارون وبنيامين نتتهاو إلى سدة الحكم ولم يلق بهم في غياهب السجون ولا قدمهم للمحاكمة هو نظام قاصر معيب . وقد لا نستطيع أن نشرع رأيا في ديمقراطية الغرب أو ديمقراطية إسرائيل ، ولكننا نعرف تماما أن الزعامة في أمريكا والزعامة في إسرائيل لا تنتمي إلى النوع الإنساني !!!

